مشاهد
من قصة يوسف عليه السلام

إعداد

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

مُقَدِّمَة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده أما بعد

فإن من أعظم النِعم على العبد أن هداه الله سبحانه وتعالى للإسلام وأن وفقه لإتباع سنة خير الأنام محمد ﷺ وإنَّ مما يزيد الإيمان ويثبِّت الفؤاد التدبر والتأمل في القصص التي ذكرها عز وجل في كتابه العظيم قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ

الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠].

ومن أحسن القصص القرآنية في موضوعها قصة يوسف عليه السلام ، قال سبحانه وتعالى: **﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾** [يوسف:٣] ومن هذا المنطلق جمعتُ هذه الورقات وسميتها مجتهداً: «**مشاهد من قصة يوسف عليه السلام**».

نسأل الله العلي القدير أن يخلص لنا أقوالنا وأعمالنا ، وأن يتقبل منَّا ، وأن يغفر لنا ولوالدينا وللمسلمين أجمعين ، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين[١][٢].

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

---

(١) نشكر فضيلة الشيخ: عايد بن حافظ الخيبري حفظه الله تعالى على مراجعة هذه الورقات والتعليق عليها فجزاه الله خير الجزاء، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

(٢) نشكر الأخ: محمد بن أحمد العسيري حفظه الله تعالى على جهده في ترتيب هذه الورقات، نسأل الله العلي القدير أن يسدده ويوفقه، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

مشاهد من قصة يوسف عليه السلام

المشهد الأول:

ذهب يوسف الصبي الصغير لأبيه، وحكى له عن رؤيا رآها وأخبره بأنه رأى في المنام أحد عشر كوكباً والشمس والقمر ساجدين له واستمع الأب إلى رؤيا ابنه وحذَّره أن يحكيها لأخوته لإدراك يعقوب عليه السلام من الرؤيا أن وراءها مستقبلاً مشرقاً وشأناً عظيماً وخشي أن يكيدوا له أخوته ويحسدوه لأن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين.

المشهد الثاني:

اجتمع أخوة يوسف ليتحدثوا في أمره: ﴿ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ

عصبة إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:٨] أي نحن مجموعة قوية تدفع وتنفع، فأبونا مخطئ في تفضيل هذين الصبيين على مجموعة من الرجال النافعين واقترح أحدهم حلاً بأن: ﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾ [يوسف:٩]. فالقتل أكبر جرائم الأرض قاطبة بعد الشرك بالله تعالى، وطرح يوسف عليه السلام في أرض بعيدة نائية مرادف للقتل لأنه سيموت هناك لا محالة ولماذا هذا كله؟! حتى لا يراه أبوه فينساه فتوجه حبه كله لهم ومن ثم يتوبون عن جريمتهم: ﴿وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾ [يوسف:٩] فقال قائل منه: ما الداعي لقتله؟ إن كنتم تريدون الخلاص منه،

فلنلقه في بئر تمر عليها القوافل ستلتقطه قافلة وترحل به بعيداً ويختفي عن وجه أبيه ويتحقق غرضنا من إبعاده[1].

المشهد الثالث:

توجه الأبناء لأبيهم يطلبون منه السماح ليوسف بمرافقتهم ودار الحوار بينهم وبين أبيهم بعتاب خفي، وإثارة للمشاعر: ﴿مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ﴾ [يوسف:١١]؟ أيمكن أن يكون يوسف أخانا، وأنت

---

(١) قال فضيلة الشيخ عايد بن حافظ الخيبري حفظه الله تعالى: (هذا القائل نقل الأخوة من المفسدة الكبرى ألا وهي القتل إلى المفسدة الصغرى ألا وهي إلقاؤه في البئر ويتحقق غرضهم بإبعاده عن أبيه فعصم الله جل وعلا يوسف عليه السلام: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

تخاف عليه من بيننا ولا تستأمننا عليه ونحن نحبه ونصح له ونرعاه؟ لماذا لا ترسله معنا يرتع ويلعب؟ ورداً على العتاب الاستنكاري الأول جعل يعقوب عليه السلام ينفي -بطريقة غير مباشرة- أنه لا يأمنهم عليه، ويعلل احتجازه معه بقلة صبره على فراقه وخوفه عليه من الذئاب: ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ﴾ [يوسف:١٣] ففندوا فكرة الذئب الذي يخاف أبوه أن يأكله ووافق الأب تحت ضغط أبنائه ليتحقق قدر الله وتتم القصة كما تقتضي مشيئته.

المشهد الرابع:

خرج الأخوة ومعهم يوسف وأخذوه للصحراء

واختاروا بئراً لا ينقطع عنها مرور القوافل وحملوه وهموا بإلقائه في البئر وأوحى الله سبحانه وتعالى إلى يوسف عليه السلام أنه ناجٍ فلا يخاف وأنه سيلقاهم بعد يومهم هذا وينبؤهم بما فعلوه.

المشهد الخامس:

عند العشاء جاء الأبناء باكين ليحكوا لأبيهم قصة الذئب المزعومة وأخبروه بأنهم ذهبوا يستبقون فجاء الذئب على غفلة وأكل يوسف وكان التقاطهم لحكاية الذئب دليلاً على التسرع وقد كان أبوهم يحذرهم منها بالأمس وهم ينفونها فلم يكن من المستساغ أن يذهبوا في الصباح ليتركوا يوسف للذئب الذي حذَّرهم أبوهم منه ويمثل هذا التسرع

جاءوا على قميصه بدم كذب لطخوه به في غير إتقان ونسوا في انفعالهم أن يمزقوا قميص يوسف وجاءوا بالقميص كما هو سليماً ولكن ملطخاً بالدم وانتهى كلامهم بدليل قوي على كذبهم حين قالوا: ﴿ **وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ** ﴾ [يوسف:١٧] أي وما أنت بمطمئن لما نقوله ولو كان هو الصدق لأنك تشك فينا ولا تطمئن لما نقوله وهذا دليل على أنهم يضمرون في أنفسهم شيئاً عظيماً وقد أدرك يعقوب من دلائل الحال أن يوسف لم يأكله الذئب وأنهم دبروا له مكيدة وأنهم يلفقون له قصة لم تقع فواجههم أنه سيصبر متحملاً ومتجملاً لا يجزع ولا يفزع ولا يشكو مستعيناً بالله تعالى على ما يلفِّقونه

من حيل وأكاذيب وهو يعلم ذلك ولم يتكلم بشيء يجرح مشاعرهم ولم يعاقبهم ولكن قال: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨].

المشهد السادس:

أثناء وجود يوسف بالبئر مرت عليه قافلة في طريقها إلى مصر وتوقفوا للتزود بالماء وأرسلوا أحدهم للبئر فأدلى الدلو فيه وتعلَّق يوسف به فظن من دلَّاه أنه امتلأ بالماء فسحبه ففرح بالغلام المتعلق بالدلو ثم بعد إخراجه زهد فيه حين فكر في همه ومسئوليته وعزم على التخلص منه لدى وصوله إلى مصر ولم يكد يصل إلى مصر حتى باعه

في سوق الرقيق بثمن زهيد وبدراهم معدودة ومن هناك اشتراه رجل من أهل المال والجاه ثم يكشف الله تعالى عن مضمون القصة : ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١].

المشهد السابع :

وها هو الذي اشتراه يقول لزوجته أكرمي مثواه[١]

---

(١) قال فضيلة الشيخ عايد بن حافظ الخيبري حفظه الله تعالى: (روي عن عبدالله بن مسعود ﷺ أنه قال: أفرس الناس ثلاثة: عزيز مصر حين قال لامرأته: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَاهُ﴾ [يوسف:٢١]. الثاني: بنت شعيب في فراسة موسى حين قالت: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦] الثالث: أبو بكر الصديق حين ولَّى عمر قال: ولَّيت عليهم خيرهم). رواه ابن جرير بسند حسن.

عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهذا الرجل وزير من وزراء الملك سماه القرآن (العزيز) وهكذا ظهرت علامات التمكين من الله تعالى ليوسف في الأرض بأن يتربى في بيت الرجل الذي يحكم البلد وسيعلمه الله من تأويل الأحاديث والرؤى وسيحتاج إليه الملك في مصر يوماً من الأيام ثم يبين لنا المولى عز وجل كرمه على يوسف وبداية التمكين له فيقول: ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٢٢].

المشهد الثامن:

وتبدأ الفتنة الثانية ليوسف عليه السلام ويذكر الله سبحانه وتعالى وصف هذه الفتنة في كتابه

الكريم: ﴿ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴾ [يوسف:٢٣-٢٤] فقالت امرأة العزيز لن تفر مني هذه المرة وأغلقت الأبواب ومزقت أقنعة الحياء وصرحت بحبها وطالبته بنفسه ويقف هذا النبي الكريم في وجه سيدته قائلاً: ﴿ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [يوسف:٢٣] أعيذ نفسي بالله أن أفعل هذا مع زوجة من أكرمني بأن نجاني من الجُب وجعل في هذه الدار مثواي

الطيب الآمن ثم وصف الحادثة سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ﴾ [يوسف:٢٤] اتفق المفسرون حول همها بالمعصية واختلفوا حول همِّه والصحيح أن المراد بهمِّه خطرات حديث النفس كما حكاه البغوي عن بعض أهل التحقيق ثم أورد حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (**يقول الله تعالى: إذا همَّ عبدي بحسنة فاكتبوها له حسنة فإن عملها فاكتبوها له بعشر أمثالها وإن همَّ بسيئة فلم يعملها فاكتبوها حسنة فإنما تركها من جرَّائي فإن عملها فاكتبوها بمثلها**) وهذا الحديث مخرج في الصحيحين وله ألفاظ كثيرة هذا منها ويبدو أن

يوسف عليه السلام آثر الانصراف متجهاً إلى الباب فاراً من موطن التهمة لأن فراره يقتضي تجنب أسباب الفتنة ولكن امرأة العزيز لحقت به لتمسكه وتدفعها الشهوة لذلك فأمسكت قميصه من الخلف فتمزق في يدها وهنا تقطع المفاجأة أن فتح الباب زوجها العزيز وهنا تظهر المرأة أنها بريئة فتجد الجواب حاضراً على السؤال البديهي الذي يطرح الموقف فتقول متهمة الفتى: ﴿ **قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** ﴾ [يوسف:٢٥] واقترحت هذه المرأة و بيَّنت للعزيز أن أفضل عقاب له هو السجن بعد هذا الاتهام الباطل والحكم السريع وجهر يوسف

بالحقيقة ليدافع عن نفسه: ﴿قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي﴾ [يوسف:٢٦] وتجاوز السياق القرآني رد الزوج ولكنه بيَّن كيفية تبرأة يوسف من هذه التهمة الباطلة: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[يوسف: ٢٦-٢٨] ولا يعلم إن كان هذا الشاهد مرافقاً للزوج منذ البداية أم أن العزيز استدعاه بعد الحادثة ليأخذ برأيه وهو لا يغير من الأمر شيئاً وما يذكره القرآن أن الشاهد أمرهم بالنظر للقميص فإن كان ممزقاً من

الأمام فذلك من أثر مدافعتها له وهو يريد الاعتداء عليها فهي صادقة وهو كاذب وإن كان قميصه ممزقاً من الخلف فهو إذاً من أثر تملصه منها وتعقبها هي له حتى الباب فهي كاذبة وهو صادق: ﴿فَلَمَّا رَأَى قَمِيصَهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف:٢٨] فتأكد الزوج من خيانة زوجته عندما رأى قميص يوسف ممزق من الخلف ونسب ما فعلته إلى كيد النساء عموماً وصرح بأن كيد النساء عظيم وبعدها التفت الزوج إلى يوسف قائلاً له: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾ [يوسف:٢٩] وأهمل هذه الحادثة ثم وجه موعظة مختصرة للمرأة التي ضبطت متلبسة بمراودة

فتاها عن نفسها وتمزيق قميصه: ﴿وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الخَاطِئِينَ﴾ [يوسف:٢٩].

المشهد التاسع:

بدأت الحادثة تنتشر: ﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي المَدِينَةِ امْرَأَةُ العَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إنا لَنراهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [يوسف:٣٠] وانتقل الخبر من بيت إلى بيت حتى وصل لامرأة العزيز وما كان لها أن تفعل: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا﴾ [يوسف:٣١-٣٢] ووجهت الدعوة لكل من تحدثت عنها في المدينة وقررت أن تعد مأدبة كبيرة في القصر وأعدت الوسائد حتى

يتكئ عليها المدعوات واختارت ألوان الطعام والشراب وأمرت أن توضع السكاكين إلى جوار الطعام المقدم وفاجأتهن بيوسف: ﴿وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٣١] وجرحن أيديهن بالسكاكين للدهشة المفاجئة : ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ﴾ [يوسف:٣١] وهي كلمة تنزيه تقال في هذا الموضع تعبيراً عن الدهشة بصنع الله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١] ورأت المرأة أنها انتصرت على نساء المدينة وأنهن لقين من طلعة يوسف الدهشة والإعجاب والذهول فقالت قولة المرأة المنتصرة : ﴿قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ

نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف: ٣٢].

فأمام هذه الدعوات سواء كانت بالقول أم بالحركات واللفتات استنجد يوسف بربه ليصرف عنه محاولاتهن لإيقاعه في حبائلهن خيفة أن يضعف في لحظة أمام الإغراء الدائم فيقع فيما يخشاه على نفسه ودعى يوسف دعاء العبد العارف ببشريته الذي لا يغتر بعصمته ويريد مزيداً من عناية الله على ما يعترضه من فتنة وكيد وإغراء: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣] واستجاب له ربه

وصرف عنه كيد النسوة[1].

المشهد العاشر:

دخل يوسف السجن ثابت القلب وأقرب إلى الفرح لأنه نجا من إلحاح زوجة العزيز ورفيقاتها وانتهز يوسف فرصة وجوده في السجن ليقوم بالدعوة إلى الله عز وجل مما جعل السجناء يتوسمون فيه الطيبة والصلاح وإحسان العبادة والذكر والسلوك وانتهز هذه الفرصة كذلك ليحدث الناس عن رحمة الخالق وعظمته وكان يقيم عليهم

---

(١) قال فضيلة الشيخ عايد بن حافظ الخيبري حفظه الله تعالى: (العبد مأمور بفعل المأمور وترك المحظور والصبر على المقدور مع الاستعانة بالملك الرحمن الغفور).

الحجة بتساؤلاته الهادئة وحواره الذكي وصفاء ذهنه ونقاء دعوته.

المشهد الحادي عشر:

قَدِمَ على يوسف وهو في السجن سجينان يسألانه تفسير رؤياهما بعد أن توسما في وجهه الخير فبدأ بدعوتهما إلى التوحيد وتبيان ما هما عليه من الضلال وقام بكل هذا برفق ولطف ليدخل إلى النفوس بلا مقاومة وبعد ذلك فسَّر لهما الرؤى وبيَّن لهما أن أحدهما سيصلب والآخر سينجو وسيعمل في قصر الملك ولكنه لم يحدد من هو صاحب البشرى ومن هو صاحب المصير السيئ تلطفاً وتحرجاً من المواجهة وأوصى يوسف من

سينجو منهما أن يذكر حاله عند الملك ولكن الرجل لم ينفذ الوصية فلبث يوسف في السجن بضع سنين.

المشهد الثاني عشر:

في قصر الحكم وفي مجلس الملك يحكي الملك لحاشيته رؤياه طالباً منهم تفسيراً له: ﴿ **وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وسبعَ سُنْبُلاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ** ﴾ [يوسف: ٤٣] ولكن المستشارين والكهنة لم يعرفوا تفسيرها أو أنهم أحسوا أنها الرؤيا فيها سوء فخشوا أن يفسروها للملك وأرادوا أن يأتي التفسير من

خارج الحاشية التي تعودت على قول كل ما يسر الملك فقط وعللوا عدم التفسير بأن قالوا للملك أنها أضغاث أحلام وليست رؤيا كاملة يمكن تأويلها ووصل الخبر إلى الساقي الذي نجا من السجن وتداعت أفكاره وذكر رؤية الملك برؤيته التي رآه في السجن وأسرع إلى الملك وحدثه عن يوسف وقال له: إن يوسف هو الوحيد الذي يستطيع تفسير الرؤيا وأرسل الملك ساقيه إلى السجن ليسأل يوسف وجاء الوقت واحتاج الملك إلى رأي يوسف وسُئِلَ عن تفسير رؤيا الملك فلم يشترط خروجه من السجن مقابل تفسيره ولم يساوم ولم يتردد ولم يقل شيئاً غير تفسير الرؤيا ولم

يقم يوسف بالتفسير المباشر المجرد للرؤيا وإنما قدم مع التفسير النصح وطريقة مواجهة المصاعب التي ستمر بها مصر وأفهم يوسف رسول الملك أن مصر ستمر عليها سبع سنوات مخصبة تجود فيها الأرض بالغلات وعلى المصريين ألا يسرفوا في هذه السنوات السبع لأن وراءها سبع سنوات مجدبة ستأكل ما يخزنه المصريون بهذا انتهت رؤيا الملك وعاد الساقي إلى الملك وأخبره بما قال يوسف واندهش الملك دهشة شديدة من هذا السجين وأصدر الملك أمره بإخراج يوسف من السجن وإحضاره فوراً إليه وذهب رسول الملك إلى السجن ورفض يوسف أن يخرج من السجن

إلا إذا ثبتت براءته وأن يسأل الملك النساء عما فعلنه مع يوسف فاعترف النساء بالحقيقة التي يصعب إنكارها: ﴿قُلْنَ حَاشَ لله مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ [يوسف:٥١] وهنا تتقدم المرأة المحبة ليوسف التي يئست منه ولكنها لا تستطيع أن تخلص من تعلقها به وتتقدم لتقول كل شيء بصراحة: ﴿أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [يوسف:٥١] وتريد أن تصحح فكرته عنها: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالغَيْبِ﴾ [يوسف: ٥٢] لست بهذا السوء الذي يتصوره فيَّ ثم تمضي في هذه المحاولة والعودة إلى الفضيلة التي يحبها يوسف ويقدرها: ﴿وَأَنَّ اللهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ

الخَائِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] ويصدر الأمر الملكي بالإفراج عنه وإحضاره.

المشهد الثالث عشر:

بعد ما رأى الملك من أمر يوسف ببراءته وعلمه وعدم تهافته على الملك عرف أنه أمام رجل كريم فلم يطلبه ليشكره أو يثني عليه وإنما طلبه ليكون مستشاره وعندما جلس معه وكلمه تحقق له صدق ما توسمه فيه فطمئنه على أنه ذو مكانه وفي أمان عنده قال يوسف: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] ولم يكن يوسف في كلمته يقصد النفع أو الاستفادة وكان يحتمل أمانة إطعام شعوب جائعة لمدة سبع سنوات وهكذا

مكَّن الله تعالى ليوسف في الأرض وصار مسؤولاً عن خزائن مصر واقتصادها.

المشهد الرابع عشر:

جاء إخوة يوسف من البدو من أرض كنعان يبحثون عن الطعام في مصر فقد اجتاح الجدب والمجاعة أرض كنعان وما حولها فاتجه إخوة يوسف إلى مصر وقد تسامع الناس بما فيها من فائض الغلة منذ السنوات السمان فدخلوا على عزيز مصر وهم لا يعلمون أن أخاهم هو العزيز: ﴿ **فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ** ﴾ [يوسف:٥٨] ولكنا ندرك من السياق أنه أنزلهم منزلاً طيباً ثم أخذ في إعداد الدرس الأول: ﴿ **وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي**

بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف:٥٩] فلما جهزهم بحاجات الرحلة قال لهم: إنه يريد أن يرى أخاهم هذا وقد رأيتم أنني أوفي الكيل للمشترين فسأوفيكم نصيبكم حين يجيء معكم ورأيتم أنني أكرم النزلاء فلا خوف عليه بل سيلقى مني الإكرام المعهود: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [يوسف: ٥٩] ولما كانوا يعلمون كيف يضن أبوهم بأخيهم الأصغر وبخاصة بعد ذهاب يوسف فقد أظهروا أن الأمر ليس ميسوراً وإنما في طريقه عقبات من ممانعة أبيهم وأنهم سيحاولون إقناعه مع توكيد عزمهم على الرغم من هذه العقبات على إحضاره معهم حين يعودون: ﴿قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾ [يوسف:٦١].

المشهد الخامس عشر:

ندع يوسف في مصر ونشاهد ما حدث مع يعقوب وبنيه في أرض كنعان عندما رجع الأخوة إلى أبيهم وقبل أن ينزلوا أحمال الجمال ودخلوا على أبيهم قائلين له بعتاب: إن لم ترسل معنا أخانا الصغير في المرة القادمة فلن يعطينا عزيز مصر الطعام وختموا كلامهم بوعد جديد ليعقوب: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [يوسف:٦٣] ويبدوا أن هذا الوعد قد أثار كوامن يعقوب وتذكر ابنه يوسف: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٦٤] واستمر حوارهم مع الأب وأفهموه

أن حبه لابنه والتصاقه به يفسدان مصالحهم ويؤثران على اقتصادهم وهم يريدون أن يتزودوا أكثر وسوف يحفظون أخاهم أشد الحفظ وأعظمه وانتهى الحوار باستسلام الأب لهم بشرط أن يعاهدوه على العودة بابنه إلا إذا خرج الأمر من أيديهم ونصحهم الأب ألا يدخلوا وهم أحد عشر رجلا من باب واحد من أبواب مصر كي لا يستلفتوا انتباه أحد وربما خشي عليهم أبوهم شيئا كالسرقة أو الحسد.

المشهد السادس عشر:

عاد إخوة يوسف الأحد عشر هذه المرة إلى مصر: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

[يوسف:٦٩] ولا ريب أن هذا لم يحدث فور دخول الإخوة على يوسف وإلا لانكشفت لهم قرابة يوسف وإنما وقع هذا في خفاء وتلطف ولم يشعر إخوته أن هذا يوسف يدبر شيئاً لإخوته وأمر يوسف رجاله أن يخفوا كأس الملك الذهبية في متاع أخيه خِلسة وكانت الكأس تستخدم كمكيال للغلال وتهيأ إخوة يوسف للرحيل ومعهم أخوهم الصغير ثم أغلقت أبواب المدينة : ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ [يوسف:٧٠] وكانت صرخة الجند تعني وقوف القوافل جميعاً وانطلق الاتهام فوق رؤوس الجميع وأقبل معهم إخوة يوسف : ﴿مَاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف:٧١] وهكذا تساءل

إخوة يوسف فقال الجنود: ﴿نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ﴾ [يوسف:٧٢] ولمن يجيء بها مكافأة وسنعطيه حمل بعير من الغلال وقال إخوة يوسف: (في شريعتنا نعتبر من سرق عبداً لمن سرق)، قال الحارس: (سنطبق عليكم قانونكم الخاص لن نطبق عليكم القانون المصري الذي يقضي بسجن السارق)، وكانت هذه الإجابة كيداً وتدبيراً من الله تعالى ألهم يوسف أن يحدِّث بها حراسه ولولا هذا التدبير الإلهي لامتنع على يوسف أن يأخذ أخاه فقد كان دين الملك أو قانونه لا يقضي باسترقاق من سرق وبدأ التفتيش وكان هذا الحوار على منظر ومسمع من يوسف فأمر جنوده بالبدء

بتفتيش رحال أخوته أولاً قبل تفتيش رحل أخيه الصغير كي لا يثير شبهة في نتيجة التفتيش واطمأن إخوة يوسف إلى براءتهم من السرقة ولم يبق إلا أخوهم الصغير وتم استخراج الكأس من رحله فأمر يوسف بأخذ أخيه عبداً عنده وكان اللوم من الأخوة على شقيق يوسف: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ﴾ [يوسف:٧٧] وكتم يوسف أحزانه في نفسه وقال بينه وبين نفسه : ﴿أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:٧٧] وبدءوا الأخوة باسترحام يوسف وقالوا : أيها العزيز وأيها الملك: ﴿إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾

[يوسف:٧٨] قال يوسف بهدوء: كيف تريـدون أن نترك من وجدنا كأس الملك عنده ونأخذ بدلاً منـه إنساناً آخر؟ هذا ظلم ونحن لا نظلم وكانت هـي الكلمة الأخيرة في الموقف وعرفـوا أن لا جـدوى بعدها من الرجاء فانسحبوا يفكـرون في مـوقفهم المحرج أمام أبيهم حين يرجعون.

المشهد السابع عشر:

عقدوا إخوة يوسف مجلساً يتشاورون فيـه وذكـر القرآن قـول كبـيرهم إذ ذكَّـرهم بـالموثق المـأخوذ عليهم كما ذكرهم بتفريطهم في يوسف من قبل ثم يبين قراره الجازم ألا يبرح مصر وألا يواجـه أبـاه إلا أن يأذن أبوه أو يقضي الله له بحكم فيخضع له وينـصاع

وطلب منهم أن يرجعوا إلى أبيهم فيخبروه بأن ابنه سرق فَأُخِذَ بما سرق وإن كان في شك من قولهم فليسأل أهل القرية التي كانوا فيها وليسأل القافلة التي كانوا فيها فهم لم يكونوا وحدهم فالقوافل الكثيرة كانت ترد مصر لتأخذ الطعام وفعل الأبناء ما أمرهم به أخوهم الكبير وحكوا ليعقوب ما حدث واستمع إليهم وقال بحزن صابر وعين دامعة : ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ العَلِيمُ الحَكِيمُ * وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾ [يوسف: ٨٣-٨٤] لاحظ أبناؤه أنه يبكي على

يوسف وحذروه بأنه سيهلك نفسه: ﴿قَالُوا تَاللهِ تفتأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَىَّ تكوَنُ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٨٦] وردهم جواب يعقوب إلى حقيقة بكائه إنه يشكو همه إلى الله تعالى ويعلم من الله ما لا يعلمون وقال: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْئَسُوا مِنْ رَوْحِ اللهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الكَافِرُونَ﴾ [يوسف:٨٧] إنه يكشف لهم في عمق أحزانه عن أمله في روح الله تعالى إنه يشعر بأن يوسف لم يمت فليذهب الإخوة بحثاً عنه وليكن دليلهم في البحث هذا الأمل العميق في الله سبحانه وتعالى.

المشهد الثامن عشر:

تحركت القافلة في طريقها إلى مصر وإخوة يوسف في طريقهم إلى العزيز وتدهور حالهم الاقتصادي وحالهم النفسي وإن فقرهم وحزن أبيهم ومحاصرة المتاعب لهم قد هدت قواهم تماماً ها هم يدخلون على يوسف ومعهم بضاعة رديئة وجاءوا بثمن لا يتيح لهم شراء شيء ذي بال وعندما دخلوا على يوسف عليه السلام رجوه أن يتصدق عليهم: ﴿ **فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ** ﴾ [يوسف:٨٨] انتهى الأمر بهم أن يتصدق عليهم ويستميلون قلبه بتذكيره أن

الله تعالى يجزي المتصدقين: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُوا تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾. [يوسف ٨٩ - ٩٠] وقال يوسف لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] ودعا يوسف الله أن يغفر لهم وهو نبي ودعوته مستجابة ها هو ذا يوسف ينهي حواره معهم بنقلة مفاجئة لأبيه يعلم أن أباه قد ابيضت عيناه من الحزن عليه ويعلم أنه لم يعد يبصر وخلع يوسف قميصه وأعطاه لهم: ﴿اذْهَبُوا

بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [يوسف:٩٣].

المشهد التاسع عشر:

خرجت القافلة من مصر حتى قال يعقوب لمن حوله في فلسطين: إني أشم رائحة يوسف لولا أنكم تقولون في أنفسكم أنني شيخ خرِف لصدقتم ما أقول فرد عليه من حوله ووصلت القافلة وألقى البشير قميص يوسف على وجه يعقوب فارتدّ بصره وقال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٩٦] فاعترف الأخوة بخطئهم وطلبوا من أبيهم الاستغفار لهم وقال: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يوسف:٩٨].

المشهد العشرون :

بدأت قصة يوسف عليه السلام بالرؤيا وختمت بتأويلها: ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [يوسف: ٩٩-١٠٠] تأمل هذه المشاهد فهذا الموكب النبوي الملكي دخلوا على يوسف وقد اعتلى سرير ملكه وخروا له سجداً تحيةً وإكراماً

وسجد الحضور وسائر الحاشية كعادة الأكابر فحينها لم يملك يوسف بعد سجود أبويه وإخوته إلا أن يتذكر رؤياه ويدعو ربه فيقول: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

❊ ❊ ❊

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلم به مني

اللهم اغفر لي جدِّي وهزلي وخطئي وعمدي وكل ذلك عندي

اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير

ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار

اللهم انفعني بما علَّمتني وعلِّمني ما ينفعُني وارزقني

علماً ينفعُني وزدني علماً

والحمد لله على كل حال وأعوذ بالله من حال أهل النار

سبحانك اللهم وبحمدك أشهدُ أن لا إله إلا أنت

أستغفرك وأتوب إليك

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين

كتبه الفقير إلى عفو ربه القدير

أبو خلاد ناصر بن سعيد بن سيف السيف

غفر الله له ولوالديه وجميع المسلمين

abuklad@hotmail.com

٢٥/ ١٢/ ١٤٣٠هـ